

المجلد: 07 / العدد: 02 / ديسمبر (2023)، ص.ص. 279-290

مظاهر الاتساق النصي في تفسير الطبري – من خلال سورتي الفاتحة والبقرة-

## Aspects of Textual Cohesion in Al-Tabari's Interpretation of Al-Fatiha and Al-Bakara Surahs

د. رشيد شهبه

rachid.chahba@gmail.com

جامعة البليدة 2

(الجزائر)

زكية عزوز\*

ez.azouz@univ-blida2.dz

جامعة البليدة 2

مخبر اللغة العربية وآدابها

(الجزائر)

تاريخ النشر: 2023/12/02

تاريخ القبول: 2023/07/23

تاريخ الاستلام: 2022/11/15

ملخص:

يُعَدُّ ميدانُ تفسير القرآن الكريم الميدانَ الأمثلَ لتجسيدِ المقاربة النصّية، لطبيعة النصّ القرآني من جهة، ولما يجبُّ على المفسّر أن يدرع فيه من العلوم ويكتسبه من أدواتٍ قبل التصديّ للتفسير، وبذلك فالمفسّر "محللٌ خطابي" يسعى إلى تحليل النصّ القرآني بالاعتماد على أدوات وآليات تتجاوز مستوى التحليل الجملي، وبما أنّ الطبري قد تحقّق له الصنعة في مختلف العلوم والرئاسة في كثيرٍ من الفنون، أردنا البحث في كيفية استناده إلى نظرية "الاتساق" في تأويله للخطاب القرآني؛ ذلك لأنّها المرحلة الأولى من مراحل التحليل لارتباطها بسطح النصّ. ومن خلال البحث في ذلك توصلنا إلى أنّ الطبري كثيراً ما كان يستند إلى وسائل الاتساق وفي مقدّماتها "الإحالة" يليها "الحذف والوصل".." لبيّتين ترابط الآي واستمرارية المعنى على نحو خالف فيه علم النصّ الحديث، وذلك لخصوصية اللغة العربية والنصّ الذي يحلّله، ممّا يفتح مجالاً لتأصيل لسانيات نصّ عربية. كلمات مفتاحية: الاتساق، النصّ القرآني، الإحالة، الحذف، الوصل.

**Abstract:**

The field of interpretation of the Holy Qur'an is the ideal field for embodying the cohesion approach. This is due to the nature of the Qur'anic text and the prerequisite scientific and linguistic knowledge that a Qur'anic interpreter should acquire before proceeding with Qur'an interpretation. And since al-Tabari has proved to excel in different sciences, the researcher wanted to investigate how he relied on 'the cohesion theory' in interpreting the Qur'anic discourse. This is due to the fact that it is the first interpretation step because it is related to the surface text. After conducting this research, we concluded that Al-Tabari relied on the cohesive tools to show the cohesiveness of the verses that contradicts modern text linguistics that paves the way towards founding Arabic text linguistics.

**Keywords:** cohesion; Qur'anic text; reference; ellipsis; conjunction.

مقدمة:

\*المؤلف المرسل.

انتقل البحث في الدرس اللساني الحديث من مستوى الجملة إلى مستوى النَّص، نتيجة حالة الانسداد التي شهدتها اللسانيات البنوية، فأدّى ذلك إلى تطوّر نوعي في دراسة النصوص والخطابات خاصة بعد ظهور وسائل وآليات نصية تستثمر في التحليل، وكان التحليل الشكلي أو ما يُعرف باللفظي أولى هذه المراحل وأساسها ونعني بذلك الاتساق (cohesion)، وبالتّظر في أبرز عمل يعكس دراسة النصوص في الحضارة العربية نجد بأنّه ميدان علوم القرآن ونحّص بالذّكر ميدان التفسير الذي يُعنى بتأويل النَّص القرآني، ومن أوائل من اعتنى بذلك محمّد بن جرير الطّبري (310هـ) من خلال تفسيره "جامع البيان عن تأويل آي القرآن"، من أجل ذلك أردنا البحث عن الاتساق النَّصي في تفسير الطّبري من خلال تفسيره لفتحة الكتاب وسورة البقرة لنجيب عن الإشكالية الآتية: ما أبرز وسائل الاتساق التي استند إليها الطّبري في تحليله للنص القرآني؟ وكيف كان ذلك؟ محاولين بذلك الكشف عن مظاهر تجسيد أحد المعايير النَّصية في تحليل النصوص لدى الأوائل، فانتمت الدراسة في ميّحين: **المبحث الأول** يمثل الإطار النظري للدراسة بالتطرق إلى مفهوم الاتساق وبيان دوره في تحليل النصوص، **أمّا المبحث الثاني** فتضمن مظاهر الاتساق النَّصي في تفسير الطّبري من خلال الحديث عن أهمّ وسائل الاتساق التي اعتمد عليها الطّبري في تأويل النَّص القرآني وهي الإحالة والحذف والوصل والاتساق المعجمي. وتفصيل ذلك في الآتي:

**المبحث الأول: الإطار النظري للدراسة**

**أولاً: مفهوم الاتساق:**

أ. لغة: من وسق "والوسق ضمّ الشّيء إلى الشّيء، قال تعالى: (والليل وما وسق) قال الفراء: "وسق أي ما جمع وضم"، وقوله تعالى: (والقمر إذا انسق) أي امتلاؤه واجتماعه واستواؤه ليلة ثلاث عشرة وأربع عشرة. واستوسقت الإبل: اجتمعت، وكلّ ما انصمّ فقد انسق، والطريق يأنسق ويُنسِق أي ينضم. والاتساق: الانتظام."<sup>1</sup>

ب. اصطلاحاً: يعدّ الاتساق أحد الوسائل التي تتحقّق بها نصّ ما، وله تسميات عديدة مثل السبك<sup>2</sup>، والرّبط اللفظي<sup>3</sup> والتّماسك، والتّنسيق، والتّضام.<sup>4</sup>

والانساق عند "هاليداي ورقية حسن" يتعلّق بارتباط تأويل عنصر ما بعنصر آخر.<sup>5</sup> ويعرّفه محمد الشاوش بأنّه: "مجموع الإمكانيات المتاحة في اللغة لجعل أجزاء النَّص متماسكة بعضها ببعض."<sup>6</sup>

كما يمكن أن نعرّف الاتساق بأنّه "بحث في الأدوات اللفظية التي تضمن التّرابط والاستمرارية الدلالية، ووجود العلائق الدلالية ضماناً كذلك لتؤدّي أدوات الاتساق العمل الموكل إليها في تحقيق النَّصية."<sup>7</sup>

**ثانياً: أهمية الاتساق:** وأمّا عن أهمية الاتساق فنقول بأنّها تتجسّد في مظهرين:

**الأول:** دورّه في بناء النَّص وتنظيم المعلومات داخله. فالإتساق "يلعب دوراً مهماً في عملية بناء النَّص، وتنظيم بنية المعلومات داخله، كما يسمح للكاتب أن يكون مقتصدًا."<sup>8</sup> أضف إلى ذلك فإنّه "يحقّق استمرارية الوقائع ممّا يُساعد القارئ في متابعة خيوط التّرابط المتحرّكة عبر النَّص، التي تمكّنه من ملء الفجوات أو الأجزاء المفقودة/ المعلومات الناقصة التي لا تظهر في النَّص ولكنّها ضرورية في فهمه وتفسيره."<sup>9</sup>

**الثاني:** ضرورة الاستناد إليه في تحليل أي نصّ باعتباره المرحلة الأولى التي يمرّ بها الدّارس في دراسته لأيّ خطاب. فالخطاب أو النَّص "ليس مجرد تناوع للأقوال، بل تتحقّق بين هذه الأقوال علاقات مختلفة تقوم لعنصر لغويّة مختلفة وطرق مختلفة، فلا بدّ إذن من تحديد هذه العناصر،"<sup>10</sup> وذلك لأنّ "التّحليل اللساني للخطاب (المكتوب والمنطوق) له هدف أساسي يتمثّل في وصف مختلف أنظمة العلامات المساهمة في اتّساقه."<sup>11</sup>

والانساق يُعنى بالعناصر اللفظية والمؤشّرات السطحية التي تحقّق للنص اتّساقه واستمراريته ومن ثمّ انسجامه، أي إنّه يتمثّل المرحلة الأولى التي يمرّ بها محلّل الخطاب، وفي ذلك يقول أمين قادري: «فهما تدخّلت العوامل المختلفة في تأويل النَّص، من ملاحظة الانسجام والمعرفة الموسوعية بالعالم يمتدّ سطح النَّص هو الحامل للقسم الأكبر من مؤشّرات الدلالية، وكلّ عملية تأتي بعد ذلك هي علاقة بين المدلولات بضمن السياق الداخلي أو الخارجي.»<sup>12</sup>

مشيراً قبل ذلك إلى تعليق "فرانسوا راسيني": «استناداً إلى الفكرة القائلة بأنّ ما هو أعمق في الإنسان هو جلده، فأزعم أنّ ما هو أعمق في النَّص هو سطحه.»<sup>13</sup>

**المبحث الثاني: مظاهر الاتساق النَّصي في تفسير الطّبري**

المطلوع على تفسير الطبري ليدرك مدى وعي هذا العالم بمفهوم الاتساق وأهمية الاستناد إلى وسائله لبيان وجه الربط بين الآيات واستمرار المعنى، بل نجده في مواضع يستعمل مصطلح الاتساق للدلالة على استمرار الكلام بنسق واحد وغرض واحد ويجعل ذلك الأصل في الكلام، ففي تفسيره لقوله تعالى: **(وَأَذِّنْ لَنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَالْوَالِدِينَ إِحْسَانًا)** [الآية 83 من سورة البقرة] جعل (بالوالدين إحسانًا) عطف على (لا تعبدون إلا الله) أي أنهما على معنى واحد، فيكون معنى الكلام: **وَأَذِّنْ لَنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ بَأَنَّ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَالْوَالِدِينَ إِحْسَانًا**،<sup>14</sup> وهذا هو الأصل والأولى عنده إذ يقول: «وقال آخرون: بل معنى ذلك: **أَلَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ، وَأَحْسِنُوا بِالْوَالِدِينَ إِحْسَانًا**. فزعموا أنَّ الباء التي في "الوالدين" من صلة المحذوف، أعني من "أحسِنُوا"، فجعلوا ذلك من كلامين. وإنما يُصرف الكلام إلى ما ادَّعَوْا من ذلك إذا لم يُوجد لاتِّساق الكلام على كلام واحدٍ وجهٌ. فأما وللکلام وجهٌ مفهومٌ على اتِّساقٍ على كلام واحدٍ، فلا وجهٌ لصرفه إلى كلامين.»<sup>15</sup> فهذه أهمُّ قاعدة يُنصُّ عليها الطبري في تحليل الكلام وهي توجيهه وتأويله بما يحقُّ اتِّساقه من بدايته لنهايتيه على أنه كلامٌ واحدٌ مستمرٌّ متواصل لا يُصرف إلى معنى آخر إلا بدليل.

ودراسة الاتساق تعني "البحث عن الوسائل اللغوية التي يستطيع النصُّ بواسطتها أن يعمل كوحدةٍ معنوية"<sup>16</sup> وفيما يلي عرض لأهم هذه الوسائل الموظفة في تفسير الطبري.

**أولاً: الإحالة (reference):** "تتوقَّر كلُّ لغةٍ طبيعيةٍ على عناصرٍ تملكُ خاصيةَ الإحالة، وهي حسبَ الباحثين الصَّمائر وأسماء الإشارة وأدوات المقارنة. والإحالة تخضعُ لقيِّدٍ دلالي لا نحوي وهو وجوب تطابق الخصائص الدلالية بين العنصر المحيل والعنصر المحال إليه."<sup>17</sup>

وتعدُّ الإحالة عند الطبري من أهم أدوات اتِّساق النصِّ القرآني، وأبرزها الصَّمائر وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة، فكثيراً ما يحدِّد المرجع لبيّن المعنى من خلاله إذ يقول في تفسير قوله تعالى: **(وَأَتُوا بِهِ مَثَابَهَا)** [البقرة من الآية 25]: «الهاء عائدةٌ على الرزق، فتأويله: وأوتوا بالذي رزقوا من ثمارها متشابها.»<sup>18</sup> وفي قوله تعالى: **(ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون)** [البقرة من الآية 25] قال: «الهاء والميم اللتان في (لهم) عائدتان على (الذين آمنوا وعملوا الصالحات)، والهاء والألف اللتان في (فيها) عائدتان على الجنات. وتأويل ذلك: وبشّر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أنَّ لهم جناتٍ فيها أزواج مطهرة.»<sup>19</sup> ويلاحظُ وهو يحدِّد المرجع الذي يحيل إليه الضمير أنه يعود للسياق السَّابق لتحقيق الاتساق بين الآيات، وفي مواضع نجده يرُدُّ الضمير للمرجع نفسه في آيات لاحقة ممَّا يسهم في تسلسل المعاني وربطها بالموضوع الأصلي، مثاله في تفسيره لقوله تعالى: **(يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم) (وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم) (وأياي فارهبون) (وآمنوا بما أنزلت مصدقاً لما معكم) (ولا تشتروا بأياتي ثمناً قليلاً) (ولا تلبسوا الحقَّ بالباطل...)** **(وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين)** [الآيات: 40-41-42-43 من سورة البقرة] فكلما جاء إلى تفسير آية من هذه الآيات ذكر الضمير (أنتم) وحدد المرجع بأنهم بنو إسرائيل.<sup>20</sup> فنجده يفيسرُ كلَّ آيةٍ ويبيِّن ما تضمنته من معنى مع ربطها بسابقتها بواسطة الإحالة إلى المرجع نفسه، وبذلك "فالصَّمائر تسمح بالانتقال من موضوع إلى موضوع أو من جزئية إلى جزئية في إطار الموضوع الواحد بشكلٍ يُبقي ذهنَ القارئ مستجمعاً لأطرافِ البنى الصُّغرى المختلفة بالجامع بينها وهو مرجع الضمير."<sup>21</sup>

والتأخرُ في تحديد الطبري (310هـ) للمرجع الذي يحيل إليه الضمير أو اسم الإشارة ليدرك بأنَّ الإحالة لدى هؤلاء العلماء أوسع مما هي عليه في لسانيات النص، إذ لا ينحصرُ المرجع في مفردةٍ أو لفظةٍ موجودة على التَّظام الخطي للكلام، وإنما نجدُ الإحالة عند الطبري **قد تعود إلى محذوف لم يُذكر في الآية** كما في تفسيره لقوله تعالى: **(فجعلناها نكالا لما بين يديها)** [البقرة من الآية 66] في أحد الأقوال جعل الضمير (الهاء) في قوله تعالى: **(فجعلناها)** عائداً إلى الحيتان<sup>22</sup> فقال: «والهاء والألف على هذا القول من ذكر الحيتان، ولم يجر لها ذكر، ولكن كان في الخبر دلالة كنى عن ذكرها والدلالة على ذلك قوله (ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت)»<sup>23</sup> فنلاحظُ بأنَّه تم تقدير المحذوف بناءً على السياق، أي الآية التي قبلها التي فيها قصَّة أصحاب السَّبْت أين كانت الحيتان تُفدُّ إليهم يوم سببتهم، فالإحالة هنا ترجعُ إلى موضعٍ سابق، يعني أنَّها تدخلُ في علاقةٍ مع السياق ممَّا يحقِّق ذلك ترابطَ المعنى واستمراريته.

إضافةً إلى ذلك فقد ترجع الإحالة إلى سياق كامل أو آيات قبله لا إلى مرجع واحد وأفضل مثال لذلك حينما فسّر الطبري (310هـ) قوله تعالى: (ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق) [البقرة من الآية 61] فقد جعل اسم الإشارة "ذلك" يدل على المعاني التي تضمنتها الآية السابقة وهي (وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله) إذ يقول: «(ذلك) ضرب الذلة والمسكنة عليهم، وإحلال غضبه بهم فدل بقوله (ذلك) -وهو يعني به ما وصفنا- على أنّ قول القائل: ذلك. يشمل المعاني الكثيرة إذا أُشيرَ به إليها»<sup>24</sup> والملاحظ أيضاً أنّ الإحالة في هذا الموضوع لم تفد مجرد الربط بين الآيات وإنما أفادت السببية بما قد يجعلها إحدى الروابط التعليلية، أي أنّهم نالوا ذلك بسبب فعلهم وهو ما ذكره الطبري بقوله: «يقول: فعلنا الذي فعلنا بهم من إحلال الذل والمسكنة والسخط بهم من أجل أنّهم كانوا يكفرون بآيات الله، ويقتلون النبيين بغير الحق»<sup>25</sup>

والأمر نفسه حينما تطرّق لقوله تعالى: (ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) [البقرة من الآية 61] ردّ اسم الإشارة هنا (ذلك) على (ذلك) التي مضت، فهي إحالة داخلية جعلت الكلام متواصلاً مترابطاً وهو بيان سبب العقاب الذي حلّ بهم إذ يقول الطبري: «ومعنى الكلام: وضربت عليهم الذلة والمسكنة، وباءوا بغضب من الله؛ من أجل كفرهم بآيات الله وقتلهم النبيين بغير الحق ومن أجل عصيانهم ربّهم واعتدائهم حدوده فقال جلّ ثناؤه: (ذلك بما عصوا) والمعنى ذلك بعصيانهم وكونهم معتدين»<sup>26</sup> فربط الكلام بعضه ببعض، والاعتبار بالسياق من الأسس التي قام عليها تفسير الطبري وذلك دليل واضح على وعيه بالبعد النصّي للكلام الله وعلى استخدامه آليات تحليل التّصوّص في بيان المعاني واستخراج الدلالات. وممّا نلاحظه أيضاً في هذه الآية أن الإحالة قد تكررت وهي بهذا تدخل في علاقة اتساقية تسمّى بالتكرار، فالطبري كثيراً ما يستحضر في عملية التّأويل أكثر من وسيلة ليحقق بها اتّساق النصّ.

ومن المسائل التي نجدّها مرتبطة باسم الإشارة في تفسير النصّ القرآني تحقيقه لعلاقة اتساقية مضاعفة وذلك في مثل قوله تعالى: (وفي ذلكم بلاء من ربكم) [البقرة من الآية 49] فاسم الإشارة "ذلكم" عند الطبري يوحي إلى المرجع وإلى المخاطبين إذ يقول: «فإنّه يعني: وفي الذي فعلنا بكم من إنجاننا لكم»<sup>27</sup> فالمرجع الذي يشير إليه (ذلكم) هو فعل الله وهو إنقاذ بني إسرائيل كما يشير إلى المخاطبين بذلك وهم هؤلاء القوم. "فاسم الإشارة في العربية يحقق الاتّساق من ناحية علاقة المكوّن الإشاري بالمرجع، ومن ناحية علاقة المكوّن الخطابي بالمخاطب"<sup>28</sup> والطبري يراعي ذلك.

من المسائل التي ارتبطت بالإحالة أيضاً لدى علماء العرب تفسير عود الضمير أو اسم الإشارة المفرد على الجمع أو المثني أو العكس، وهي من أهمّ الوسائل التي تعمل على اتّساق النصّ، ويتجلى ذلك في تفسير الطبري لقوله تعالى: (ثمّ استوى إلى السماء فسواهن) [البقرة من الآية 29] فقد علل سبب الإحالة إلى السماء -وهي مفرد- بضمير الجمع "فسواهن" بقوله: «وقال جلّ ذكره: (فسواهن). فأخرج مكنيهنّ مُخرج مكني الجمع، وقد قال قبل: (ثمّ استوى إلى السماء) فأخرجها على تقدير الواحد، وإنّما أخرج مكنيهنّ مُخرج مكني الجمع؛ لأنّ السماء جمع، واحدها سماوة، فتقدير واحدتها وجميعها إذن تقدير بقرّة وبقرة، ونخلّة ونخل...»<sup>29</sup> وكذلك في تفسير قوله تعالى: (عوان بين ذلك) [البقرة من الآية 68] يقول: «فإن قال قائل: قد علمت أن "بين" لا تتصلّح إلا أن تكون مع شيئين فصاعداً، فكيف قيل: (بين ذلك) و(ذلك) واحد في اللفظ؟ قيل: إنّما صلّحت مع كونها واحدة؛ لأنّ "ذلك" بمعنى اثنين، والعرب تجمع في "ذلك" و"ذاك" شيئين ومعنيين من الأفعال، كما يقول القائل: أطنّ أخاك قائماً، وكان عمرو أباك. ثمّ يقول: قد كان ذاك، وأطنّ ذلك.»<sup>30</sup> فوجد الطبري فضلاً عن أنّه يفتر ما يوهّم الخروج عن الأصل ويردّه بوجه من الوجوه إليه يسعى كذلك لتحقيق الاتّساق بين أجزاء النصّ.

**ثانياً: الحذف (ellipsis):** وهو "حذف عنصر من البنية اللفظية للنصّ، لدخوله في علاقة تطابقية مع عنصر سابق، ممّا يقوي افتراض إضمارها كما تقتضي قوانين الاقتصاد اللغوي على المستوى التركيبي"<sup>31</sup> ويرى الباحثان "هالبيدي ورقية حسن" بأنّ الحذف نوع من الاستبدال إلا أنّه استبدال بالصفّر، ولذلك تحدّد أقسام الحذف وفق أقسام الاستبدال"<sup>32</sup> 1. الحذف الاسمي 2. الحذف الفعلي 3. الحذف الجملي

وكثيراً ما عرج الطبري في تفسيره إلى ذكر الحذف في الآيات وعمل على تقديره وبيان علة الحذف كما اصطلح عليه باصطلاحات أبرزها الاجتزاء والإضمار وعدم الذكر.

فأمّا عن استناده إلى الحذف كوسيلة من وسائل الاتساق فقد تجلّى في تحليله للنص القرآني بأقسامه الثلاث، فجاء بيانه للحذف الاسمي في نحو قوله تعالى: (في قلوبهم مرض) [البقرة من الآية 10] حيث قدّر الحذف بقوله: «إنّما يعني في اعتقاد قلوبهم... فاجتزأ بدلالة الخبر على معناه، عن تصريح الخبر عن اعتقادهم»<sup>33</sup> وأيضاً عند تفسيره لقوله تعالى: (قالوا ادع لنا ربك يبيّن لنا ما هي إرّ البقر تشابه علينا وإن شاء الله لمهتدون) [البقرة/70] قدّر المحذوف وأوّل معنى الآية مستنداً إلى الإحالة إذ يقول: «يعني بقوله: (قالوا): قال قوم موسى الذم أمرؤا بذبح البقرة، لموسى. فترك ذكر "موسى"، وذكر عائذ ذكره اكتفاءً بما دل عليه ظاهر الكلام. وذلك أنّ معنى الكلام: قالوا له: ادع لنا ربك. فلم يذكر "له" لما وصفنا.»<sup>34</sup> ومثال آخر يوضّح دور العلم بالحذف وتقديره في الربط بين الجمل وتحقق الاتساق وهو تفسيره لقوله تعالى: (إنّ الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصّابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربّهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) [البقرة/62] إذ يقول: «فإن قال لنا قائل: فأين تمام قوله تعالى: (إنّ الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصّابئين)؟ قيل تمامه جملة قوله: (من آمن بالله واليوم الآخر). لأنّ معناه: من آمن منهم بالله واليوم الآخر. فترك ذكر "منهم" لدلالة الكلام عليه؛ استغناءً بما ذكر عمّا ترك ذكره... قيل معناه: إنّ الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصّابئين، من يؤمّن منهم بالله واليوم الآخر فلهم أجرهم عند ربّهم.»<sup>35</sup> فنلاحظ كيف ربط الطبري الكلام بعضه ببعض بواسطة تقديره للمحذوف "منهم" والذي يحمل دلالة الإحالة القبلة من خلال إحالة ضمير "هم" على المؤمنين واليهود والنصارى والصّابئين لبيّن المعنى على أساس ذلك ممّا يزيل الغموض لدى القارئ ويوضّح له المراد. وإن كان الحذف هنا يشمل الجار والمجرور، ومن أقسام الحذف كذلك الحذف الفعلي، ففي قوله تعالى: (يا أيها النّاس اعبدا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون) [البقرة/21] قدّر الطبري (310هـ) المحذوف في الآية وهو الفعل "خلق" وجعل تقدير الكلام: (الذي خلقكم وخلق الذين من قبلكم) ليتناسب موضوع الآية ويحقّق بذلك اتساقها وانسجامها مع الأمر الذي كان في بدايتها وهو "اعبدوا ربكم" وذلك أنّ الموضوع موضع بيان قدرة الله وخلقته للخلق ليتبيّن لهم بأنّه الأحق بالعبادة والتوحيد فيقول الطبري: «فقال لهم جلّ ذكره: فالذي خلقكم وخلق آباءكم وأجدادكم وسائر الخلق غيركم، وهو يقدر على صرّكم وفعيكم، أولى بالطاعة ممّن لا يقدر لكم على نفع ولا ضرر.»<sup>36</sup>

أمّا عن الحذف الجملي فيذكر الطبري (310هـ) تقديراً للمحذوف من الكلام حتى يحقّق بذلك الربط بين الآيات، إلا أنّه كثيراً ما يقدّر هذا المحذوف ليتناسب بين أول الكلام مع آخره فتبدو العلاقة بذلك سببية أو تعليلية، ومثال ذلك حينما عرض لقوله تعالى: (كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) [البقرة من الآية 57] فوضّح الأمر الذي من أجله جعلهم يظلمون أنفسهم ليحقّق الاتساق بين قوله تعالى: (كلوا من طيبات ما رزقناكم) و (وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) حيث يقول: «وهذا أيضاً من الذي استغني بدلالة ظاهره على ما ترك منه، وذلك أنّ معنى الكلام: كلوا من طيبات ما رزقناكم، فخالقوا ما أمرناهم به، وعصوا ربهم، ثمّ رسولنا إليهم، وما ظلمونا. فأكفّني بما أظهر عمّا ترك. وقوله (وما ظلمونا). يقول: وما ظلمونا بفعلهم ذلك ومعصيتهم، (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون)»<sup>37</sup> فجملة "فخالقوا ما أمرناهم به، وعصوا ربهم" سبب لظلمهم أنفسهم.

ويكون الحذف في العربية لأسباب وأغراض، لذلك نجد الطبري يبيّن أسباب الحذف والتي تتلخّص في سببين:  
**الأول: دلالة الظاهر من الكلام على المحذوف منه:** وهو ما نلاحظه كثيراً عند تقديره للمحذوف وفي أغلب النماذج المذكورة دليل على ذلك، بقوله: «لدلالة الكلام عليه؛ استغناءً بما ذكر عمّا ترك ذكره» (الذي اجتزأ بدلالة ظاهره عن ذكر ما حذفت وترك منه)، «وهذا أيضاً من الذي استغني بدلالة ظاهره على ما ترك منه» ومثل هذه المواضع كثيرة في تفسيره، كما نشير إلى لطيفة وهو تنبيه الطبري إلى أنّ الحذف يتّم بمراعاة المخاطب، أي أنّه يحذف من الكلام ما لم يحدث غموضاً أو التباساً لدى المخاطب، إذ يمكنه فهم المعاني وتقدير المحذوف بما ظهر له من الكلام، بل ويجعل من حُسن الحذف علم السامع به، إذ يقول في تفسير قوله تعالى: (مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً) [البقرة من الآية 17]: «لما كان معلوماً عند سامعيه بما ظهر من الكلام أنّ المثل إنّما ضرب لاستضاءة القوم بالإقرار دون أعيان أجسامهم، حُسن حذف ذكر الاستضاءة وإضافة المثل إلى أهله»<sup>38</sup> ثم إنّ مراعاة المخاطب يدل على وعي الطبري بالعملية التواصلية التي تتحقق بوجود عناصر التّواصل.

**الثاني: للإيجاز والاختصار:** وإن كان هذا مما تشترك فيه الألسن لطبيعة الإنسان الذي يميل إلى الخفة والاقتصاد، ومن المواضع التي تدل على تنبيه الطبري إلى ذلك عند تقديمه للمحذوف وهو "مثل" في قوله تعالى: (أو كصيب من السماء) [البقرة من الآية 19] إذ يقول: «لَمَّا كَانَ قَوْلُهُ: (كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا) دَالًا عَلَى أَنَّ مَعْنَاهُ: كَمَثَلِ صَيْبٍ. حَذَفَ الْمَثَلُ وَاكْتَفَى بِدَلَالَةِ مَا مَضَى مِنَ الْكَلَامِ فِي قَوْلِهِ: (كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا) عَلَى أَنَّ مَعْنَاهُ: أَوْ كَمَثَلِ صَيْبٍ - من إعادة ذكر المثل؛ طلب الإيجاز والاختصار.»<sup>39</sup>

والواقع أن الحذف لا يكون للإيجاز والاختصار إلا إذا دلّ الدليل عليه، ففي تفسيره لقوله تعالى: (مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله) [البقرة من الآية 17] يقول: «فإن قال لنا قائل: إنك ذكرت أن معنى قول الله تعالى ذكره: (مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله): خمدت وانطفأت. وليس ذلك بوجود في القرآن، فما دلالتك على أن ذلك معناه؟ قيل: قد قلنا: إن من شأن العرب الإيجاز والاختصار إذا كانت فيما نطق به الدلالة الكافية على ما حذف وتركت»<sup>40</sup>

أما عن الوسائل التي يحدّد بها الطبري (310هـ) المحذوف من الكلام فإنّ أهمّها وأبرزها **السِّيَاقُ**، مما يُوحى بنظرة الطبري (310هـ) إلى الكلام على أنّه وحدة مترابطة متواصلة يُضاف إلى ذلك الدلالات العقلية خاصة وهو يرد على مخالفه في التّأويل، ففي قوله تعالى: (وَأْمُؤُوا بِمَا أُنزِلَتْ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أُولَٰ كَافِرٍ بِهِ) [البقرة/41] قدر ما المنزل؟ ومن الذي لا يكفر به بناءً على السِّيَاق وهو بصدد ردّ الأقوال المخالفة لقوله، إذ يقول: «وهذان القولان من ظاهر ما تدل عليه التلاوة بعيدان، وذلك أنّ الله جلّ ثناؤه أمر المخاطبين بهذه الآية في أولها بالإيمان بما أنزل على محمّد صلى الله عليه وسلم، فقال: (وَأْمُؤُوا بِمَا أُنزِلَتْ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ). ومعقول أنّ الذي أنزله الله في عصر محمّد صلى الله عليه وسلم هو القرآن لا محمد؛ لأنّ محمّدًا صلوات الله عليه رسول مرسل، لا تنزيل منزل، والمنزل هو الكتاب، ثمّ نهاهم أن يكونوا أول من يكفر بالذي أمرهم بالإيمان به في أوّل الآية- من أهل الكتاب، فذلك هو الظاهر المفهوم.»<sup>41</sup>

**ثالثا: الوصل (conjunction):** "بعد الوصل وسيلة ربط نحوية بامتنياز، ذلك أنّه لا يعتمد على التحاول الدلالي بين عنصرين كما هو الشّأن في الإحالة والاستبدال والحذف، وأنّما يعتمد على التّركيب بين جملتين بالاعتماد على عنصر لفظي (أداة ربط) فهو رباط بين وحدتين جملتين داخل النّص في كيانها الإجمالي، لا عن طريق الرّبط بين عنصرين داخل الجملتين."<sup>42</sup> وبالتّظّر إلى أدوات الربط (الوصل) فقد حدّد الباحثان "هاليداي ورقية حسن" بناءً على ذلك أربعة مظاهر للوصل: 1. الوصل الإضافي 2. الوصل التقابلي 3. الوصل السببي 4. الوصل الزمني<sup>43</sup>

"ويرتبط الوصل في الفكر اللساني العربي على وجه الخصوص بظاهرة العطف، وتسيطر فكرة العطف على نظر علماء الكلام العربي في عدمها كحالها في وجودها، فالحالتان تفسّر إحدهما الأخرى عن طريق التّداعي المستمرّ بين الاتّصال والانفصال، وهذا ما شكّل مبحث "الوصل الفصلي" في البلاغة العربية."<sup>44</sup>

ومن البديهي أن يعتني المفسّرون بالحذف وكذا بالوصل والفصل أولاً باعتبار طبيعة موضوعهم وهو تحليل النّص القرآني الذي يقتضي آليات تتجاوز المستوى الجملي، والأمر الآخر لكون هذه المباحث من علم المعاني أحد أقسام علم البلاغة، أي أنّه أحد العلوم اللغوية التي يشترط على كل مفسّر الإمام بها قبل تصدّره للتفسير فهي بمثابة آليات تعين هؤلاء العلماء على بيان معاني القرآن الكريم، ومن خلال دراستنا لكيفية مساهمة الوصل في تحقيق اتّساق النّص القرآني في تفسير جامع البيان عن تأويل أي القرآن وجدنا بأنّ الطبري (310هـ) يعتني بإظهار مواطن الرّبط عن طريق العطف بالعناصر اللفظية، أو عن طريق الإبتاع بواسطة العلاقات النحوية، وهو بصدد ذلك كثيراً ما يستعين بأكثر من وسيلة من وسائل الاتساق ذلك أنّ الوصل في هذا المقام هو ما يُعنى بالربط بين الجمل لا بين الألفاظ ومعلوم بأن الجملة اللاحقة تدخل في علاقة اتّساقية مع الجملة السّابقة فزيادةً عن الوصل يمكن أن نستعين بالإحالة، أو الحذف...لتحقيق ترابط الجمل، وقد تجلّى الوصل بعلاقاته في تفسير الطبري على النحو الآتي:

**1- الوصل الإضافي:** ففي تفسيره لقوله تعالى: (وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ) [البقرة من الآية 50] قال: «(وَإِذْ فَرَقْنَا) فَإِنَّهُ عَطْفٌ عَلَى (وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ)، بمعنى: واذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم، واذكروا إذ نجيناكم من آل فرعون، وإذ فرقنا بكم البحر.»<sup>45</sup> نجده يصل الآية بما قبلها مستعينا في الوقت نفسه بتقدير المحذوف من الكلام وذلك لتحقيق اتساق

الآيات وتزابطها وجعل المعاني مستمرة، كما أنّه يعبّر عن الوصل بالعطف وهو في هذا الموضع عطف بالواو التي تدلّ على الجمع فيضاف الكلام إلى سابقه ممّا يجعله وصلاً إضافياً، وفي مواطن أخرى يدل على وجود العطف دون التصريح به فيجمع الآيتين أو الآيات مبتناً اشتراكها في المعنى من وجه ففي قوله تعالى: (ولا يقبل منها شفاعة) [البقرة من الآية 48] جعلها معطوفة على (واقتوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً) [البقرة من الآية 48] إذ يقول: «فتأويل الآية إذن: واقتوا يوماً لا تقضي نفس عن نفس حقاً لزمها الله عزّ وجلّ ولا لغيره ولا يقبل الله منها شفاعة شافع، فيترك لها ما لزمها من حق». <sup>46</sup> والأمر نفسه حينما تطرق لتأويل قوله تعالى: (ولا يؤخذ منها عدل) وقوله تعالى: (ولا هم ينصرون) فيعد بيانه للمعاني التي تحملها هذه الأجزاء يعيد ربطها ببعضها البعض، فيقول: «(ولا هم ينصرون) يعني: إنهم يومئذ لا ينصرون ناصر، كما لا يشفع لهم شافع، ولا يقبل منهم عدل، ولا فدية» <sup>47</sup>

**2- الوصل التّقابلي:** ومنهم من سمّاه الوصل العكسي <sup>48</sup> "حيث يتمّ الوصل بين متقابلات متعارضة أو متناقضة" <sup>49</sup> ويتجلى في تفسير الطبري لقوله تعالى: (بلى من كسب سيئته وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) [البقرة/ 81] إذ يقول: «وبعد، فإنّ الله جلّ ثناؤه قد قرّن بقوله: (بلى من كسب سيئته وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) قوله: (والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنته هم فيها خالدون) فكان معلوماً بذلك أنّ الذين لهم الخلود في النار من أهل السيئات، غير الذين لهم الخلود في الجنته من أهل الإيمان». <sup>50</sup>

من بين المواضع التي تشير إلى استحضر الطبري (310هـ) التّقابل في الوصل بين الجمل تفسيره لقوله تعالى: (يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم) [البقرة من الآية 49] حيث قدّم توجيهها للآية بناءً على التّقابل الموجود فيها لا ليحقّق الاتساق فحسب بل ليحقّق الانسجام بين الجمل، ويدفع التّأويل المبني على التّقابل وحده بين قوله تعالى: (يذبحون أبناءكم) وقوله (يستحيون نساءكم) وذلك حينما ذهب بعضهم إلى أنّ المعنى بالأبناء هم الرجال ولولا ذلك لما قابلهم بلفظة النساء وأتماّ استعمل بدلها لفظ الصبايا، فأجاب الطبري عن ذلك بما يوحي أنّه لا يستند إلى مطلق التّقابل بل يُراعي مختلف الوسائل التي تحقّق للنّص اتساقه وانسجامه حيث يقول: «وقد أغفل قائلو هذه المقالة - مع خروجهم من تأويل أهل التّأويل من الصحابة والتابعين - موضع الصواب... فمعلومٌ بذلك أنّ القوم لو كانوا إنّما كانوا يقتلون الرجال ويتركون النساء، لم يكن بأمّ موسى حاجة إلى إلقاء موسى في اليمّ... وإنّما قيل: (ويستحيون نساءكم) إذ كان الصبايا داخلات مع أمهاتهنّ - وأمّهاتهنّ لا شكّ نساء - في الاستحياء؛ لأنّهم لم يكونوا يقتلون صغار النساء ولا كبارهنّ... كما يقال: قد أقبِل الرجال. وإنّ كان فيهم صبيان... وأمّ الذكور فإنّه لم يكن يُذبح إلاّ المولودون قيل: (يذبحون أبناءكم) ولم يقل يذبحون رجالكم». <sup>51</sup>

فقد استند أولاً إلى السياق الخارجي الممثّل في أقوال الصحابة وهو ما كان يفعله فرعون من ذبح الصبيان لا الرجال، وكذلك إلى الدلالة العقلية وهي أن لا وجه لإلقاء موسى في اليمّ إذ لم يكن رجلاً، إضافة إلى اعتماده على الدلالة العرفية وتقصد بها ما عرف في كلام العرب من قولهم "قد أقبِل الرجال" وفيهم الصبيان فلم يختصّ الصبيان إذن. وبهذا ندرت مدى سعة الوسائل التي استند إليها الأولون في تأويل النّص القرآني وما الوسائل اللغوية كالوصل وغيره إلاّ إحدى الوسائل المساهمة في تحقيق اتّساق النّص.

**3- الوصل السببي:** وهو الرّبط بين الجمل بالأدوات المفيدة للسببية أو الغائية أو الشرطية <sup>52</sup> ومن بين هذه الأدوات "لعل" في نحو قوله تعالى: (ثمّ بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون) [البقرة/ 56] إذ يجعلها الطبري (310هـ) بمعنى لام التعليل ويبين على أساسها المعنى المراد بالجمع بين الآيات السابقة ممّا يحقق الترابط والتماسك بين الآيات فيقول: «وقوله: (لعلكم تشكرون) يقول: فعلنا ذلك بكم لتشكروني على ما أولئكم من نعمتي عليكم، بإحياي إياكم، استيناءً متى لكم؛ لتراجعوا التوبة من عظيم ذنبكم، بعد إحلالي العقوبة بكم بالصّاعقة التي أخللتها بكم، فأماتتكم بعظيم خطاياكم التي كانت منكم فيما بينكم وبين ربكم». <sup>53</sup>

ومن خصائص اللغة العربية تعدد معاني الحرف الواحد فتجده بمعنى في سياق يخالف معناه في سياق آخر، كما تخرج بعض الحروف عن الدلالة الأصلية لها إلى دلالات أخرى، ففي قوله تعالى: (فتوبوا إلى بارئكم) تأتي الفاء لتربط بين الآيات وهي حرف عطف له دلالة في اللغة إذ يفيد الترتيب والتعقيب، غير أنه في هذا الموضع يدخل في

علاقة اتساقية غائية كما يوضحه الطبري بقوله: «وقوله: (فتاب عليكم). يقول: فتاب الله عليكم بما فعلتم مما أمركم به من قتل بعضكم بعضاً... معنى الكلام: فثوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم، ذلكم خير لكم عند بارئكم، فبتتم فتاب الله عليكم. فترك ذكر قوله: فبتتم. إذ كان في قوله: (فتاب عليكم) دلالة بيّنة على انقضاء الكلام: فبتتم.»<sup>54</sup> أي توبتهم إلى الله جعلت الله يتوب عليهم إضافة إلى الوصل بالفاء فتقدير المحذوف "بتتم" في هذا الموضوع عاملٌ مهمٌ في تحقيق اتساق الكلام.

**4- الوصل الزمني:** في قوله تعالى: **(وَأذِنا موسى أربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وأتمم ظالمون)** [البقرة الآية 51] فجعل الحدث وهو اتخاذ قوم موسى العجل بعد فراق موسى لهم والعامل في ذلك هو "ثم" الذي يفيد الترتيب والتراخي إذ يقول: «وتأويل قوله: (ثم اتخذتم العجل من بعده): ثم اتخذتم في أيام مواعدي موسى العجل إلاها من بعد أن فارقكم موسى متوجّهاً إليّ للموعود.»<sup>55</sup>

**رابعا: الاتساق المعجمي:** ويأخذ به "الربط" الذي يتحقق من خلال اختيار المفردات عن طريق إحالة عنصر إلى عنصر آخر<sup>56</sup>، ومن ثم فإنه يختلف عن باقي وسائل الاتساق في أنه "يعتمد على علاقة معجمية دلالية في حين أن كل وسيلة مما سبق يمكن عداها اتساقاً نحويًا أي أنها تعتمد على علاقة نحوية."<sup>57</sup> ويحدّد "رقية حسن وهالدي" قسمين من الاتساق المعجمي وهما: 1. التكرار (reiteration) 2. التلازم أو التضم (collocation)

**1- التكرار (reiteration):** إذ "يتّم الاتساق عن طريق التكرار إمّا بواسطة تكرار وحدة معجمية، أو الترادف أو شبه الترادف أو اسم الجنس أو بواسطة الاسم العام،"<sup>58</sup>

وقبل الحديث عن التكرار باعتباره أحد أقسام الاتساق المعجمي، نشير إلى أنّ هذا الاصطلاح نجده ممثلاً عند علماء التجويد فيما يعرف بالمتشابه اللفظي أي ذكر جميع المواضع التي وردت فيها لفظة معينة بهدف تسهيل حفظ كلام الله تعالى، بل ومن أشكال التكرار في القرآن الكريم ورود الآيات المتشابهة، وينهج الطبري (310هـ) في تفسير بعض الآيات التي قد يتكرر ورودها للمرة الثانية مبدأ **التأويل بالنظر**، أي يجعل المعنى كمعنى الآية الأولى ومثاله في تأويل قوله تعالى: **(يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم)** [البقرة من الآية 47] إذ يقول: «وتأويل ذلك في هذه الآية نظير تأويله في التي قبلها في قوله: (اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم)»<sup>59</sup> وهذا ممّا لا شك فيه أنه يربط الكلام بعنصره ببعض ويحقّق الوحدة المعنوية للآيات، وهذا وإن كان يتجاوز التكرار المعجمي الذي يُعنى بتكرار الوحدات المعجمية إلى تكرار الآي، فإنه يفتح لنا باب البحث في مدى تحقيق الآيات المتشابهة في السورة الواحدة الاتساق فضلاً عن محاولة اكتشاف مظاهر الاتساق في الدراسات القرآنية والتي تميز بها اللسان العربي عن غيره من الألسن.

أمّا حديثنا عن التكرار بالمفهوم الحديث فقد تبّه إليه الطبري (310هـ) في تأويله للتص القرآني فوقف عنده مبرزا أغراضه، وهذا ما يتميز به التكرار في العربية إذ يتجاوز مجرد المطابقة مع الموضوع الأول وربط الكلام بواسطة ذلك إلى وجود أغراض تفسّر هذا التكرار، ونشير إلى بعض ذلك ممّا ذكره الطبري:

**التكرار لحاجة الفعل إلى ذلك:** ففي قوله تعالى: **(إياك نعبد وإياك نستعين)** [الفاتحة/5] طرح سؤالاً قائلاً: «فما وجه تكراره (ياك) مع قوله (نستعين) وقد تقدّم ذلك قبل (نعبد)؟ وهلاً قيل: **إياك نعبد ونستعين**. إذ كان المخبر عنه أنّه المعبود هو المخبر عنه أنّه المستعان؟»<sup>60</sup> ليجيب عن ذلك بكلام طويل مفاده أنّ الكاف في (إيا) هي الكاف التي كانت تتصل بالفعل (نعبد) أي "نعبدك" دالة على المخاطب المنصوب، وكان من الأوضح في كلام العرب إعادتها مع كل فعل فتقول: اللهم إنا نعبدك ونستعينك ونحمدك.. فكذلك حينما تقدّمت وارتبطت بإيا كان الأوضح إعادتها مع كل فعل (إياك نعبد) (إياك نستعين)<sup>61</sup>

**التكرار لبيان الجزاء:** إذ تُكرّر الوحدة المعجمية لا لمجرد المطابقة واتساق الكلام بل لكونها جزءاً ترتّب عن الوحدة المعجمية الأولى وبذلك - كما أقرّ الطبري (310هـ) - الوجدان المعجميتان مختلفتان في المعنى إذ تكون الأولى بمعنى استحق أن تكون الثانية جزاء لها وأتى بأمثلة موضّحة ذلك، ففي تفسيره لقوله تعالى: (إنما نحن مستهزؤون الله يستهزئ بهم) [البقرة/14، 15] يقول: «إخبار من الله جلّ ثناؤه أنّه مجازيهم جزاء الاستهزاء، ومعاقبتهم عقوبة الخداع، فأخرج خبره عن جزائه إيّاهم وعقابه لهم، مخزّج خبره عن فعلهم الذي عليه استحقوا العقاب في اللفظ، وإن اختلف

المعنيان، كما قال جلّ ثناؤه: (وجزاء سيئة سيئة مثلها) [الشورى/40] ومعلوم أنّ الأولى من صاحبها سيئة، إذ كانت منه لله تبارك وتعالى معصية، وأنّ الأخرى عدل؛ لأنّها من الله جزاء للعاصي على المعصية - وإن اتّفقت لفظاهما- مختلفتا المعنى، وكذلك قوله: (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) [البقرة/194]. فالعدوان الأول ظلم، والثاني جزاء لا ظلم، بل هو عدل؛ لأنّه عقوبة للظالم على ظلمه، وإن وافق لفظه لفظ الأول.<sup>62</sup>

**مسألة أخرى وردت في تفسير الطبري وهي عدم جدوى التكرار بالمرادف إن لم يفد السامع فائدة:** والإتيان بالمرادف هو شكل من أشكال التكرار في علم النص، ونجد الطبري (310هـ) قد عرض لهذا النوع بيان يوضّح مدى اهتمام هؤلاء العلماء باتّساق النّص وانسجامه، فلا تقتصر وسائل الاتساق عندهم على تحقيق الترابط واستمرارية الكلام وأنّما يسعون إلى بيان ما يصحب ذلك من تحقيق لأغراض ومعان ففي تفسير الطبري لقوله تعالى: (ملك يوم الدين) [الفتح/4] رجّح بأنّ القراءة الصحيحة هي "ملك" لا "مالك" فقوله تعالى: (ربّ العالمين) ربّ تضمنت معنى مالك، فالروية تدل على الملك والرزق والخلق، وعليه يقول الطبري: «كأن في إعادة وصفه جلّ ذكره بأنّه: (ملك يوم الدين) إعادة ما قد مضى من وصفه به في قوله: (ربّ العالمين). مع تقارب الأيتين، و تجاوز الصفتين، وكان في ذلك إعادة ألفاظ مختلفة بمعان متفكّة، لا تفيد سامع ما كرّر منه فائدة به إليها حاجة. والذي لم يحوه من صفاته جلّ ذكره ما قبل قوله: (ملك يوم الدين) المعنى الذي في قوله: (ملك يوم الدين) وهو وصفه بأنّه الملك.»<sup>63</sup> فنلاحظ بأن التكرار بالمرادف هنا أي مالك على ربّ لم تكن لتفيد السامع فائدة فكان الأولى تقديم قراءة ملك لما لها من معنى لم يحوه ربّ.

**2- التلازم التلازم أو الغضام (collocation):** وهو يقتضي وجود علاقة بين كلمتين تنتمي إلى مجموعة معينة يتعرّف عليها القارئ من السّياق<sup>64</sup>، ويمكن أن تتحدّد هذه العلاقة على أنّها تضاد، تقابل، تكامل، علاقة الجزاء - كل... وقد وردت بعض أشكال التلازم في تفسير الطبري للنّص القرآني كالتضاد بين اللفظتين: "أدنى" و"خير" في قوله تعالى (قال أّستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير) [البقرة من الآية 61] حيث جاء في تفسير الطبري: «أستبدلون الذي هو شر بالذي هو خير»<sup>65</sup> والأمثلة على ذلك كثيرة في القرآن الكريم. ومن أشكال التلازم الحاضرة في تفسير الطبري انتماء ألفاظ إلى مجموعة غير منتظمة، مثاله في قوله تعالى: (فادع لنا ربك يخرج لنا ممّا تنبت الأرض من بقلها وقتائها وفومها وعدسها وبصلها) [البقرة من الآية 61] إذ يقول الطبري: «والبقل والعدس والبصل هو ما قد عرفه النّاس بينهم من نبات الأرض وحيتها.»<sup>66</sup> فالكلمات البقل والعدس والبصل تدخل في علاقة اتساق معجمي كونها ألفاظ تنتمي إلى مجموعة النبات.

**خاتمة:**

يتضح لنا بعد هذا العرض لنظرية الاتساق في تفسير "جامع البيان عن تأويل آي القرآن" وعي الطبري بالبعد النّصي في تحليله للنّص القرآني وبالآدوات والوسائل التي تحقّق ذلك، فقد استند الطبري إلى مختلف وسائل الاتساق في عملية تأويله للنّص القرآني، ولعلّ أبرزها وأهمها "الإحالة" إذ كثيرا ما نجد الطبري يستند إليها في تأويل المعاني ثمّ إنّ الناظر في تحديده لها يلاحظ بأنّها أوسع مما هي عليه في لسانيات النص، من خلال الحديث عن الإحالة إلى محذوف غير مذكور في النّظام الخطي للكلام، أو الإحالة إلى سياق كامل، غير مقتصرة بذلك على الإحالة إلى لفظ أو مفردة. فضلاً عن تحقيق بعض العناصر كاسم الإشارة علاقة اتساقية مضاعفة من خلال الإحالة إلى مرجعين، إضافة إلى تفسير عود الإحالة الدالة على المفرد على مرجع بصيغة الجمع... وتوجيه ذلك من قبل الطبري بما يحقّق للنص اتساقه وتراپطه. كما اعتنى الطبري ببيان الحذف بأنواعه في كلام الله تعالى ممّيّتا علته والتي تتمثل في دلالة الظاهر على المحذوف فلا حاجة حينئذ لذكره، إضافة إلى الاختصار والإيجاز، وكثيرا ما يتأول الطبري المحذوف بالاعتماد على السياق فيتجاوز بذلك مستوى التحليل الجملي من جهة ويحقق ترابط الآيات واتساقها من جهة أخرى.

ومن وسائل الاتساق الحاضرة في تفسير الطبري الاتساق المعجمي من خلال ظاهرتي التكرار والتلازم، وفي تحديد الطبري التكرار في الآي يجده يتجاوز مجرد المطابقة بين الموضع الثاني للكلمة وموضعها الأول، إلى أغراض مثل التكرار لحاجة الفعل إلى ذلك أو لبيان الجزاء... ومن المسائل التي أثارت انتباهنا مسألة تكرار الآية بما

يعرف بالآيات المتشابهات فيتعامل الطبري معها بمبدأ التفسير بالنظير مما يحقق للنص ترابطه، وهو الأمر الذي جعلنا نتساءل في إمكانية توجيه البحث إلى مدى تحقيق الآيات المتشبهات في السورة الواحدة الاتساق متجاوزين بذلك التكرار المعجمي الذي يعنى بتكرار الوحدات المعجمية.

وبهذا نخلص إلى أنّ وسائل الاتساق وحدث حضوراً في تفسير الطبري على نحو جعلها تتميز عما هي عليه في لسانيات النص ما يجعلنا نقدر بأنّ الحضارة العربية حضارة نصية لها خصوصية في تحليل الخطابات والنصوص.

## الإحالات:

- 1: ابن منظور، لسان العرب، تحقيق: عبد الله الكبير، محمد حسب الله، هاشم الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، مادة وسق.
- 2: هي ترجمة تمام حسان لمصطلح الاتساق عند دي بوجراند في كتابه: النص والخطاب والإجراء.
- 3: تسمية عزة شبل في كتابها: علم لغة النص.
- 4: سامر كاظم، الاتساق والانسجام في القرآن الكريم الكائنات الغيبية (الملائكة، الجن، الشياطين) أنموذجا، رسالة ماجستير، جامعة الكوفة، العراق، 1438هـ، 2017م، ص 6.
- 5: فالانساق عند هليداي ورقية حسن "يمثل مفهوماً دلالياً، وهو يتعلّق بالعلاقات الدلالية التي تُوجَد داخل النصّ، ويُصيخ عنصر ما في النصّ مرتبّاً في تأويله بعنصرٍ آخر." مفتاح بن عروس، الاتساق والانسجام في القرآن الكريم، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2007م، 2008م، ص 208. والتعريف نقله عن: Halliday & Ruqaiya Hassan : Cohesion in English, p5.
- 6: محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية - تأسيس نحو النص، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، ط1، 1421هـ، 2001م، ج1، ص 124.
- 7: أمين قادري: الأبعاد النصية في إعراب القرآن دراسة تحليلية تأصيلية، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر2، 2016م، 2017م، ص 172، 173.
- 8: عزة شبل: علم لغة النص، مكتبة الآداب، القاهرة، ط2، 1430هـ، 2009م، ص 99. نقل عن: Farida Dubin & Elite Olshtain : The interface of writing and reading, p361.
- 9: نفسه، نقل عن: Halliday & Ruqaiya Hassan : Cohesion in English, p299.
- 10: مفتاح بن عروس، الاتساق والانسجام في القرآن، ص 51.
- 11: M. Charolle, Cohesion, Coherence et Pertinence du Discours, Travaux de linguistique, N29, Université de Nancy2, 1995, p126.
- 12: أمين قادري، الأبعاد النصية في إعراب القرآن دراسة تحليلية تأصيلية، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر2، 2016م، 2017م، ص 173.
- 13: فرانسوا راستيبي، فنون النصّ وعلومه، ترجمة إدريس الخطاب، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2010م، ص 233، (الحاشية 181)
- 14: محمد ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق عبد الله التركي، دار هجر، القاهرة، ط1، 1422هـ، 2001م، ج2، ص 190.
- 15: المصدر السابق: ج2، ص 191.
- 16: مفتاح بن عروس، الاتساق والانسجام في القرآن، ص 215.
- 17: محمد الخطابي، لسانيات النص، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1991م، ص 17.
- 18: محمد ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج1، ص 412.
- 19: المصدر السابق، ج1، ص 419.
- 20: المصدر السابق، ج1، ص 596، 599، 600، 602، 610، 611.

- 21: أمين قادري، الأبعاد النصية في إعراب القرآن دراسة تحليلية تأصيلية، ص 296، 297.
- 22: وإن كان الطبري حينما فرغ في بيان الأقوال في المحال إليه في (جعلناها) قد ضَعَفَ القائلين بأنه الحيتان لعدم ذكرها في السياق، يُنظر: **جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج 2، ص 73**، وإذا سئلنا لماذا ذكرنا المثال إذن فالجواب عن ذلك: لبيان سعة تصور الأوائل لمفهوم الإحالة وهو ممَّا ذُكر في تفسير الطبري.
- 23: المصدر السابق، ج 2، ص 68.
- 24: المصدر السابق، ج 2، ص 28.
- 25: المصدر السابق، ج 2، ص 29.
- 26: المصدر السابق، ج 2، ص 31، 32.
- 27: المصدر السابق، ج 1، ص 652.
- 28: أمين قادري، الأبعاد النصية في إعراب القرآن دراسة تحليلية تأصيلية، ص 315.
- 29: محمد ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج 1، ص 459.
- 30: المصدر السابق، ج 2، ص 91.
- 31: أمين قادري، الأبعاد النصية في إعراب القرآن دراسة تحليلية تأصيلية، ص 179.
- 32: المرجع السابق، ص 180، وينظر: محمد الخطابي، لسانيات النص، ص 21، 22.
- 33: محمد ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج 1، ص 287.
- 34: المصدر السابق، ج 2، ص 70.
- 35: المصدر السابق، ج 1، ص 38.
- 36: المصدر السابق، ج 1، ص 385. ويُنظر إلى تقدير الفعل المحذوف ص 386.
- 37: المصدر السابق، ج 1، ص 711.
- 38: المصدر السابق، ج 1، ص 334.
- 39: المصدر السابق، ج 1، ص 356.
- 40: المصدر السابق، ج 1، ص 344.
- 41: المصدر السابق، ج 1، ص 603.
- 42: أمين قادري، الأبعاد النصية في إعراب القرآن دراسة تحليلية تأصيلية، ص 180، 181.
- 43: محمد الخطابي، لسانيات النص، ص 23. ينظر: مفتاح بن عروس: الاتساق والانسجام في القرآن الكريم، ص 251.
- 44: أمين قادري، الأبعاد النصية في إعراب القرآن دراسة تحليلية تأصيلية، ص 327.
- 45: محمد ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج 1، ص 654.
- 46: المصدر السابق، ج 1، ص 636.
- 47: المصدر السابق، ج 1، ص 639.
- 48: وهو محمد الخطابي في كتابه: لسانيات النص مدخل على انسجام الخطاب، ص 23.
- 49: أمين قادري، الأبعاد النصية في إعراب القرآن دراسة تحليلية تأصيلية، ص 183.
- 50: محمد ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج 2، ص 181.
- 51: المصدر السابق، ج 1، ص 652.
- 52: أمين قادري، الأبعاد النصية في إعراب القرآن دراسة تحليلية تأصيلية، ص 183.
- 53: محمد ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج 1، ص 692.
- 54: المصدر السابق، ج 1، ص 686، 687.
- 55: المصدر السابق، ج 1، ص 668.

- 56: عزة شبل، علم لغة النص، ص105.
- 57: أمين قادري، الأبعاد النصية في إعراب القرآن دراسة تحليلية تأصيلية، ص184.
- 58: مفتاح بن عروس، الاتساق والانسجام في القرآن، ص254.
- 59: محمد ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج1، ص628.
- 60: المصدر السابق، ج1، ص163.
- 61: المصدر السابق، ج1، ص164.
- 62: المصدر السابق، ج1، ص314.
- 63: المصدر السابق، ج1، ص151، 152.
- 64: مفتاح بن عروس، الاتساق والانسجام في القرآن، ص263.
- 65: المصدر السابق، ج2، ص20.
- 66: المصدر السابق، ج2، ص15.

#### المصادر والمراجع:

1. ابن منظور، لسان العرب، تحقيق: عبد الله الكبير، محمد حسب الله، هاشم الشاذلي، دار المعارف، القاهرة.
2. أمين قادري: الأبعاد النصية في إعراب القرآن دراسة تحليلية تأصيلية، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر2، 2016م، 2017م.
3. سامر كاظم، الاتساق والانسجام في القرآن الكريم الكائنات الغيبية (الملائكة، الجن، الشياطين) أنموذجا، رسالة ماجستير، جامعة الكوفة، العراق، 1438هـ، 2017م.
4. عاصم شحادة علي: مظاهر الاتساق والانسجام في تحليل الخطاب: الخطاب النبوي في رقائق صحيح البخاري نموذجا، دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد36، العدد2، 2009م.
5. عزة شبل: علم لغة النص، مكتبة الآداب، القاهرة، ط2، 1430هـ، 2009م.
6. فرانسوا راستيي، فنون النص وعلموه، ترجمة إدريس الخطاب، دار توفيق، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2010م.
7. محمد الخطابي، لسانيات النص، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1991م.
8. محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية – تأسيس نحو النص، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، ط1، 1421هـ، 2001م.
9. محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق عبد الله التركي، دار هجر، القاهرة، ط1، 1422هـ، 2001م.
10. مفتاح بن عروس، الاتساق والانسجام في القرآن الكريم، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2007م، 2008م.

#### المراجع الأجنبية:

1. M. Charolle, Cohesion, Coherence et Pertinence du Discours, Travaux de linguistique, N29, Université de Nancy2, 1995